إحياءُ العشرِ وأثرُ الإيمان في استقرارِ الفردِ والمجتمعِ

١٩ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٢٤ يونيو ٢٠١٦م

أولا: العناصر:ـ

١. خصائص وفضائل العشر الأواخر من رمضان.
٢. هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في العشر الأواخر من رمضان.
٣. أثر الإيمان في استقرار الفرد والمجتمع.
- يورث الفرد الأمن والطمأنينة والهدوء النفسي وضبط سلوكياته.
- يحقق استقرار الأسرة، ويحافظ على تماسكها.
- يحقق استقرار المجتمعات، ويحقق الأمن والأمان للبشرية.
- يرسخ القيم الخلقية والإنسانية.

٤. الإيمان رحمة ، ورمضان رحمة ، وفي فتح مكة تجلت بعض مظاهر هذه الرحمة.

ثانيا: الأدلة:ـ

من القرآن الكريم:

١. قال تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[الأنعام:١٦٣-١٦٢].

٢. وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

٣. وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم:٦].

٤. وقال تعالى:{وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}[البقرة:١٨٧].

٥. وقال تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[البقرة:١٨٦].

٦. وقال تعالى:{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}[القدر:٣].

٧. وقال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد:٢٨]

٨. وقال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[الحج:١١].

٩. وقال تعالى:{ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات:١٣].

الأدلة من السنة النبوية:

١. عن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ) (متفق عليه واللفظ لمسلم)

٢. وعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة فزِعًا، يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ ـ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّين ـ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ) (رواه البخاري)

٣. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ). (رواه أبوداود)

٤. وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا). (رواه مسلم)

٥. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا)(رواه البخاري).

٦. وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها):(أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِه)(متفق عليه).

٧. وعنها أيضا (رضي الله عنها) قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (رواه الترمذي).

٨. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) (رواه مسلم).

٩. وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) (رواه البخاري).

١٠. وعن أبي نضرة (رضي الله عنه) أن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...) (رواه أحمد).

ثالثا: الموضوع:-

شهر رمضان هو شهر الطاعات والعبادات ، ولشرف هذا الشهر الكريم وما فيه من خير وبركة كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يجتهد ويكثر من أعمال الخير في هذا الشهر الفضيل ما لا يجتهد في غيره من بقية الشهور ، وكان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من الطاعة والعبادة والإقبال على الله عز وجل ، فهذه الأيام فرصة لمن أحسن في أول الشهر أن يزيد في إحسانه ، ولمن أساء وأخطأ أن يستدرك ما فات ويعود إلى رشده ، ويغتنم هذه الأيام العشر في الطاعات ، وما يقربه من الله تعالى ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) (جامع الأُصول)، ولعل الحكمة من ذلك أنها تحوي بين لياليها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، والتي يتجلى فيها أعلى مظاهر العطاء الرباني والكرم الإلهي على الخلق ، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ* لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ}[سورة القدر] ، أو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يكثر من العبادة في العشر الأواخر من رمضان لقرب انتهاء الشهر المبارك ، والأعمال بخواتيمها ، فمن ختم له بخير فقد أفلح ونجح ، ومن ختم له بشر فقد خاب وخسر.

فليحرص العبد على أن يختم شهره بطاعة الله تعالى والتقرب إليه بأنواع القربات، وإحسان الصلة به ، وصدق العبد في الرغبة فيما عنده جلَّ في علاه ، فمن كان مقصرًا فيما مضى فليحفظ ما بقي من هذا الشهر بالطاعة والإحسان ، ومن كان محسنًا فيما مضى فليحرص على سلامة القصد وصحة النية.

وقد كان النبيّ الكريم (صلى الله عليه وسلم) يُحيي العشر الأواخر من رمضان بالعديد من أمور الطاعة والعبادة ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ) (متفق عليه).

فمن ذلك: إحياء الليل **بالعبادة والطاعة ، بالصلاة ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والاستغفار ، والسعي في قضاء الحوائج ، والتعاون على البرّ والتقوى ... وغير ذلك من أعمال الخير والصلة.**

وإحياء الليل على تلك الصفة من صفات المتقين ، وطريق موصل إلى جنة الخلد ، قال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الذاريات: ١٥-١٨].

ومنها: إيقاظ الأهل: **للمشاركة في قيام الليل ، وتلمس ليلة القدر ، وقد كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يوقظ أمهات المؤمنين للعبادة والطاعة ، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة فزعًا ، يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّين - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ) (رواه البخاري)، وعن زينب ابنة أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: (...وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ عَشَرَةُ أَيَّامٍ لَمْ يَذَرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ) (رواه المروزي في مختصر قيام رمضان).**

فحري بربّ كل أسرة أن يقتدي بفعل النبيّ (صلى الله عليه وسلم) مع أهله ، تحقيقًا لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}[التحريم:٦]، فإيقاظ الأهل للتعبد والطاعة سبب من أسباب رحمة الله عزّ وجلّ التي نتلمسها في هذا الشهر الكريم ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ) (رواه أبوداود).

ومنها: الاجتهاد في الطاعة بقدر المستطاع **شكرًا لله تعالى على نعمه ، وقدوتنا في ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ، قالت عائشة : يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) (رواه مسلم) ، فإذا كان ذلك هو حال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في غير رمضان فكيف كان حاله في شهر الجدّ والاجتهاد ، شهر العبادة والطاعة؟!**

ومنها: شدّ المئزر: **وهو كناية عن شدة جدّه واجتهاده (صلى الله عليه وسلم) في العبادة زيادة على عادته في غير رمضان، والمراد به: التشمير في العبادة ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: (كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا جَاءَتِ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ، وَشَدَّ مِئْزَرَهُ وَاجْتَنَبَ النِّسَاءَ، وَجَعَلَ عَشَاءَهُ سَحُورًا) (رواه أبو نعيم في حلية الأولياء).**

ومنها: الاعتكاف: **ومعناه: المكث في المسجد بنية مخصوصة، على وجه مخصوص، للانشغال بالعبادة والطاعة، بعيدًا عن ملذات الدنيا وشهواتها والإقبال على الله عز وجل وحده ، قال تعالى:{وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}[البقرة:١٨٧]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَان عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا) (رواه البخاري) ، وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِه) (متفق عليه).**

والاعتكاف المطلوب شرعًا ليس معناه تعطيل مصالح البلاد والعباد ، وإنما المقصود منه الزيادة في التقوى ، فإن تعارض الاعتكاف مع مصالح البلاد والعباد فتسيير مصالح البلاد والعباد أحق بالتقديم لكون ذلك فرض وواجب، أما الاعتكاف فهو سنة عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) والفرض مقدم على السنة، كما أن العمل وتسيير مصالح البلاد والعباد عبادة وقربة لله عزّ وجلّ كالاعتكاف تمامًا ، ففي الحديث القدسي: (..وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...) (رواه البخاري)، وفي الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...) (متفق عليه) وكل من ولي أمرًا من أمور البلاد والعباد، وتحت يده مصلحة من مصالحهم يدخل في هذا التوجيه النبوي الكريم ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا – وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ) (رواه الطبراني).

ومنها: الدعاء: **وقد أرشدنا إلى ذلك قول الله تعالى في ثنايا آيات الصيام:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**

[البقرة:١٨٦]، وأرشد إلى ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ثَلاَثٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)(رواه الترمذي)، والدعاء في العشر الأواخر من رمضان أشدُّ استحبابًا لعله يقع في ليلة القدر، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (رواه الترمذي).

إن إحياء العشر الأواخر من رمضان بهذه الكيفية وبهذا الهدي النبوي الكريم لهو ترجمة للإيمان الحقيقي الصادق على الجوارح والأعضاء ، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وهو أسمى علاقة جاء بها الرسل (عليهم السلام)، ومعناه: استقرار العقيدة في القلب بالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وعلى المؤمنين أن يؤدوا مطلوب الإيمان، وهو تنفيذ التكاليف التي يأتي بها المنهج الإلهي، والمبلِّغ عنه سيدنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الأوامر والنواهي.

هذا والإيمان الصادق النابع من القلب المطمئن له ثمرات عظيمة وفوائد جليلة تعود على الفرد والمجتمع ، منها:

- يورث الفرد الأمن والطمأنينة والهدوء النفسي وضبط سلوكياته ، **فالسعادة الحقيقية، والطمأنينة النفسية لا تتحققان إلا في الإيمان بالله عزّ وجلّ وبذكره ، قال تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) وهو يجادل عبّاد الكواكب :{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[الأنعام:٨١،٨٢]، وقال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد:٢٨]، وقال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}[الفتح:٤]، فاستقرار الفرد، واطمئنان نفسه يعود بالنتيجة الحسنة في تعامله مع مجتمعه على السواء.**
- الإيمان يزرع في الإنسان الصبر عند النوازل، ويجعله متوازنا في جميع ظروفه وأحواله: **قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧}، وقال تعالى على لسان**

يعقوب (عليه السلام) حينما أخبروه أن الذئب أكل يوسف (عليه السلام) قال:{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[يوسف:١٨]، وقال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[الحج:١١]، وعن صهيب الرومي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم).

- **يحقق استقرار الأسرة، ويحافظ على تماسكها** فالإيمان يدعونا إلى برّ الوالدين والإحسان إليهما، قال تعالى:{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[البقرة:٨٣]، والإيمان يأمر الزوجة أن تطيع زوجها، فعن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ)(رواه أحمد)، والإيمان يأمر الزوج أن يتقي الله في أسرته زوجة وأولاده، بالقيام على عنايتهم ورعايتهم وتربيتهم، وقضاء حوائجهم، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)(رواه النسائي)، فلو قام كل واحد في الأسرة بدوره الذي حدده له الإيمان لاستقرت الأسرة المسلمة ولذهبت أسباب المشاحنات والخلافات بين أفرادها، وأخرجت للمجتمع والوطن والعروبة والإسلام أفردا صالحين مصلحين.
- **يحقق استقرار المجتمعات، ويحقق الأمن والأمان للبشرية**.فالإسلام أرسى قواعد السلم والأمن ، وليس من تعاليم الإيمان السلب والنهب، وترويع الآمنين والإغارة عليهم حتى ولو كانوا غير مسلمين، قال تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ*إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الممتحنة:٨-٩] وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)(رواه مسلم)، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم):(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)(رواه البخاري)، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قال:(مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)(رواه البخاري).

والناس أمام الله سواسية كأسنان المشط قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات:١٣]، ويقول أيضا:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء:٥٨]، و عن أبي نضرة (رضي الله عنه) أن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...)(رواه أحمد).

- **يرسخ القيم الخلقية والإنسانية ومكارم الأخلاق** التي تنظم سلوك الإنسان، وتجعله مستقيما في كلّ شئون حياته، في العقيدة، والآداب ومعاملة الناس، حيث تُعد هذه الأخلاق سر سعادة الأمم ونهضتها وازدهارها.

إن الصوم يهذب النفس ويسمو بإيمان الصائم حتى يكون الله تعالى مقصوده وحده دون سواه في كل أحواله وفي كل أموره ، ويتحقق فيه قول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[الأنعام:١٦٣-١٦٢].

وختامًا نؤكد أن الإيمان رحمة ، ورمضان رحمة ، وفي فتح مكة تجلت بعض مظاهر هذه الرحمة ، حيث قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " اليوم يوم المرحمة " ، وحيث قال (صلى الله عليه وسلم) لمن آذوه وأخرجوه : " يا أهل مكة: مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا : أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ " ، في لمسة تسامح لم يشهد التاريخ الإنساني مثلها.